المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 24-03-2006 العـــدد : 13787
الصفحـات : 9 المسلسل : 52

استراتيجيات لها مساس بالأمن الوطني

د. حمد بن عبدالله اللحيدان

تعدد مصادر الدخل سبقتنا إليه دول وشعوب أخرى، وخير مثال على ذلك الصين، وكوريا، وماليزيا، وسنغافورة، والمثل الأكثر شهرة ووضوحاً هو اليابان التي تعتبر جزراً بركانية غير ذات زرع أو موارد ومصادر طبيعية، ولكنها بإرادة الرجال والتفكير السليم أصبحت اليابان في مقدمة دول العالم صناعياً

المصـــدر : الرياض
التـــاريخ : 24-03-2006
الصفحـات : 9
العـــدد : 13787
المسلسل : 52

■ في الأسبوع الماضي تحدثت عن استراتيجيتين تمسان أمن منشآت البترول وطرق تصديره، واليوم أتحدث عن استراتيجيات أخرى ذات مساس بالأمن الوطني، ولعل من أهم الأمور التي تعزز من الأمن الوطني وتشد أزره تكامل استراتيجيات التنمية فيما بينها من جهة، وعدم وجود ثغرات داخل كل استراتيجية تعيق فعاليتها أو يمكن استغلالها من قبل أعداء الأمة مثل الإرهابيين والمفسدين وغيرهما سواء كان العدو خارجياً أو متربصاً. أما العدو الداخلي المتمثل في الإرهاب وعناصره فهو إلى زوال، أما العدو الخارجي الذي تفرضه الرياح الجامحة التي تهب على المنطقة والتي تسير حسب مخطط مرسوم لا يمكن إيقافه إلا من خلال التخطيط الاستراتيجي المبني على جعل جميع فعاليات الوطن تتناغم وتتكامل. ولعل من أهم الاستراتيجيات التي تحتاج إلى تقييم ودعم وتحفيز ما يلي:

- نتيجة للأمن والاستقرار الذي تنعم به المملكة ظل عدد السكان يزداد ويتطور حتى جاوز ذلك العدد العشرين مليون نسمة وصاحب ذلك تطور ونهضة حضارية وعمرانية متميزة. إلا أن من أهم الملاحظات على تلك الزيادة المضطردة في السكان والتوسع في العمران أنه لم يصحبه تخطيط استراتيجي يأخذ بعين الاعتبار البعد الأمني للوطن. بحيث يتم توزيع السكان على أكبر رقعة ممكنة من أرض الوطن. ذلك أن المدن المعروفة ظلت تتضخم ويقيت كثير من المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية شبه خالية لم تطلها يد التوطين أوإعادة التوطين وأستثني من ذلك عربتا الصناعة الوطنية في كل من الجبيل وينبع ومدينة الملك عبدالله الاقتصادية الوليدة التي تبشر بنموذج يحتذى في مناطق أخرى. فعلى سبيل المثال نجد أن الساحل الشرقي من المملكة وكذلك الساحل الغربي منها يحتاجان إلى مزيد من الكثافة السكانية، وكذلك المنطقة الواسعة الممتدة بين مدينة تبوك والمدينة المنورة هي الأخرى تحتاج إلى مزيد من الكثافة السكانية وإحياء سواحل البحر فيها من الناحية السياحية. ولا يقتصر الأمر على ذلك بل لا بد من عمل دراسة استراتيجية لجميع المناطق ذات الأهمية الأمنية وذات الكثافة السكانية المنخفضة والعمل على تعزيزها سكانياً ودعم ذلك بمشاريع استيطانية إما زراعية أو صناعية أو تعدينية أو رعي أو غيرها من الحرف والعوامل الإنتاجية التي تعزز الاستيطان وتدعم استقراره. ولعل من أهم العوامل التي تساعد على ذلك تكاتف مجموعة من الجهات، فمثلاً وزارة الزراعة يمكن أن تمنح أراضي زراعية ووزارة البلديات يمكن أن تمنح أراضي سكنية ووزارة الصحة تقيم وحدات صحية ووزارة التربية والتعليم تقيم المدارس ووزارة الداخلية تقيم وحدات للأمن والدفاع المدني، كما أن صندوق التنمية العقارية يمكن أن يلعب دوراً استراتيجياً ناهيك عن المجمعات السكنية التي يمكن أن تتبناها المؤسسات الخيرية مثل مؤسسة الملك عبدالله لوالديه للإسكان التنموي، ومؤسسة الأمير سلطان بن عبدالعزيز للخدمات الإنسانية ومشروع الأمير سلمان بن عبدالعزيز للإسكان الخيري ومؤسسة الملك فيصل الخيرية وغيرها من المؤسسات الخيرية العديدة التي تبناها أصحاب السمو الملكي الأمراء، نعم إن إنشاء مدن نموذجية في المناطق المهمة سوف يخلق فرص عمل عديدة في مجالات لا حصر لها إذا تم الإعداد لها بصورة منهجية وطبقاً للتجارب العالمية المماثلة. ولعل خير شاهد على البرامج الإسكانية والاستيطانية التي تأخذ بعين الاعتبار الأهمية الأمنية ما تقوم به إسرائيل من زرع للمستوطنات في المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية والإنتاجية التي تحقق نمواً اقتصادياً وبعداً أمنياً في نفس الوقت.

نعم إن أمن الأمة اتجاه العدو الخارجي لا تحفظه الجيوش النظامية بقدر ما يحفظه العدد الكبير للسكان الموزع على أكبر رقعة من أرض الوطن وخصوصاً المناطق الاستراتيجية، ذلك أن الجيوش النظامية سرعان ما تنهار إذا كان العدو الخارجي أقدر عسكرياً من الدولة الضحية، كما حدث في حرب ١٩٦٧م بين إسرائيل والدول العربية، وكما حدث بين الهند وباكستان، أو كما حدث عندما اجتاحت إسرائيل جنوب لبنان عام ١٩٨٢م، وكذلك عندما احتلت أمريكا العراق. ولكن التفصيل في كل تلك الأحداث هو المقاومة الشعبية. فاسرائيل احتلت سينا في غضون خمسة أيام ولم تجد مشكلة في ذلك لأنها شبه خالية من السكان، ولكنها لم تجرؤ أو تفكر في اجتياز قناة السويس باتجاه القاهرة حيث العدد الكبير للسكان، كما أن إسرائيل احتلت جنوب لبنان في أيام معدودة لكنها لم تستطع احتلال بيروت والاستمرار في حصارها وذلك لقلة السكان في جنوب لبنان وكثافة السكان في بيروت. كما أن احتلال العراق لم يستغرق أكثر من شهر ولكن الجيش الأمريكي بكل عدته وعتاده لم يتمكن من بسط سيطرته على أرض العراق بما في ذلك بغداد، والسبب المقاومة الشديدة التي كان عمادها الرئيسي كثرة عدد السكان، ولولا الشقاق الطائفي والعرقي لما بقيت الجيوش الغازية أكثر من سنة هناك.

نعم إن كثافة عدد السكان يعتبر المعيار الأول الذي يحسب له أي عدو ألف حساب، فإسرائيل ورغم دعم الدول الكبرى لها هم تتهنأ في الضفة الغربية أو قطاع غزة حيث المقاومة كانت ضارية حتى باستخدام الحجارة ذلك أن عدد السكان الكبير يصعب التعامل معه خصوصاً إذا كثرت مدنه وتقاربت المسافة بينها.

وعليه فإن إعادة رسم الأولويات من خلال إعادة دراسة خريطة المملكة من جميع الجوانب الأمنية، والعسكرية، والاقتصادية، والسياحية، والاجتماعية، والثقافية متبوعاً بوضع خطة عمل استراتيجية عمرانية وسكانية ذات أبعاد أمنية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية وثقافية تعمق الوحدة وتصهر أبناء المجتمع في بوتقة واحدة متجانسة تأخذ بعين الاعتبار والأولوية المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية الآنية والمستقبلية.

إن مدينة الرياض عاصمة الدولة ومركز الثقل السكاني الذي وصل تعداده ما يربو على خمسة ملايين نسمة تعتمد بصورة كبيرة إمدادات مياه الشرب على ما يردها من محطات تحلية مياه البحر على الخليج العربي وعبر انبوبين فقط، وهذا لا شك خطأ استراتيجي كبير يجب إعادة النظر فيه من عدة وجوه، أولها أن يزاد عدد الأنابيب الناقلة للمياه المحلاة أضعاف مضاعفة وأن تكون متباعدة ومؤمنة من التخريب والعبث وأن يتم وصولها إلى مدينة الرياض من جهات عديدة وأن ينتهي كل منها بخزان استراتيجي وأن يكون كل خزان ظهير وداعم للخزانات الأخرى بحيث يمكن إغلاق أي خط للصيانة دون أن يؤثر ذلك على امدادات المياه لأي جزء من المدينة. وهذا يمكن أن يعمم على جميع المدن والمناطق التي تعاني من نفس الوضع في جميع أرجاء المملكة.

إن زيادة عدد محطات التحلية على كل من الساحل الشرقي والساحل الغربي وربط المحطات في كل من الساحلين ببعضها البعض، بحيث يشكل كل منها احتياطياً وظهيراً للآخر مما يمكن من أن تشرب مدن الساحل الشرقي من محطات الساحل الغربي

المصـــدر : الرياض
التـــاريخ : 24-03-2006
الصفحـات : 9
العـــدد : 13787
المسلسل : 52

والعكس في حالة الضرورة، ولا شك أن تشجيع الاستثمار في تحلية المياه له أهمية قصوى خصوصاً في ضوء المعطيات التي تقول إن الصراع والحروب القادمة سوف تكون على موارد المياه،وكذلك في ضوء الاحتباس الحراري الذي أدى إلى قلة نزول الأمطار، ناهيك عن العمل الجاد في اتجاه منع استنزاف المياه الجوفية التي يجب أن نحافظ ونعمل على بقائها كمخزون استراتيجي نلجأ إليه وقت الضرورة القصوى لا قدر الله.

المملكة اليوم تفخر بما أنجزته من تقدم صناعي يشكل اليوم الخيار الاستراتيجي الأول من الناحية الاقتصادية بعد البترول. والفخر يكون أكبر عندما نتحدث عن عريني الصناعة الوطنية في كل من الجبيل وينبع واللذان يتم توسيعهما الآن إلى الجبيل (٢) وينبع (٢). ولكن في خضم هذا الزخم الصناعي الجبار والواعد يجب أن لا ننسى بأن تودع محافظنا الاستثمارية والصناعية على أكثر من سلة وأكثر من موقع. لذلك لا بد من إنشاء معاقل صناعية مماثلة ولكن في مواقع متباعدة أخرى على طول كل من الساحلين الشرقي والغربي. آخذين بعين الاعتبار البعد الأمني والأبعاد الاستراتيجية الأخرى في ضوء ما يحيق بالمنطقة من مخاض مفروض بأجندة خارجية.

نعم باعتبار البترول والغاز الثروة الرئيسية وباعتبار الصناعات البتروكيمياية تعتمد عليهما فإنه من المنطقي أن نتوسع في تلك الصناعات وأن نأخذ حقنا من السوق العالمية كاملة، ولكن يجب أن ننظر إلى المستقبل بعين ثاقبة وأن نوطن الصناعات الأخرى التي لها قدرة تنافسية وتساعد على تنويع صناعتنا الوطنية خصوصاً تلك التي تتوفر خاماتها محلياً وذلك حتى نكون بمنأى عن تقلبات أسعار البتروكيمياويات المرتبطة بأسعار البترول إلى حد بعيد.

إن المملكة مازالت تعتمد على البترول كمصدر رئيسي للدخل على الرغم من مرور أكثر من ستين عاماً على اكتشاف البترول وبدء تصديره. والحقيقة أن حكومتنا الرشيدة تولي هذا الموضوع أهمية بالغة لكن وتيرة العمل على تعدد مصادر الدخل تحتاج دفعة رائدة. وأهمية العمل على تعدد مصادر الدخل ينبع من أن:

- إن البترول سلعة قابلة للنضوب خصوصاً مع معدلات الإنتاج العالية ومعدل الاستهلاك المتزايد عالمياً.

- إن ارتفاع أسعار البترول حالياً يساعدنا على العمل لإيجاد مصادر دخل بديلة للبترول وذلك من خلال استغلال الدخل المرتفع في بناء قاعدة اقتصادية بديلة للبترول. هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن ارتفاع أسعار البترول يدعم التوجه العام في الدول المتقدمة في البحث عن مصادر طاقة بديلة للبترول وتطويرها فهم يعملون اليوم على استغلال الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والطاقة المائية والطاقة الحرارية الأرضية، وانتاج الوقود من المخلفات الزراعية حيث تمكنت أمريكا من سد ما يقرب من (١٠٪) من حاجتها من الوقود عن طريق خلط الكحول الذي يحصلون عليه من المخلفات الزراعية مع البنزين للحصول على وقود يسمى جازهول (gashol).

واليوم يعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش عن وضع خطة أمريكية للاستغناء عن بترول الشرق الأوسط بحلول عام (٢٠٢٥)م ومثل هذا التصريح ليس دعاية انتخابية بل هو توجه حقيقي يجب أن نحسب له ألف حساب خصوصاً إذا كان ينطوي على العمل على إيجاد بديل أرخص من البترول كمصدر للطاقة.

إن بعض بدائل البترول قد نزلت إلى الشارع وتم استخدامها فعلاً في بعض الدول مثل اليابان وكوريا وألمانيا، حيث شاهدنا على الشاشة الفضية تلك السيارات التي تسير باستخدام الطاقة الكهربائية. وإذا كانت محدودة اليوم فهي سوف تملأ الشوارع غداً وإن غداً لناظره لقريب. أما السيارات التي تسير على طاقة الهيدروجين الذي يتم استخلاصه من الماء بواسطة مفاعلات صغيرة يتم تطويرها لتفي بالغرض، فهي أشبه بحقيقة واقعة إذا تمكنت التقنية من خفض تكلفتها من الناحية التقنية، أما الوقود وهو الماء فهو رخيص ونواتج استهلاكه صديقة للبيئة أيضاً. إن البحث والتطوير الذي تقوده مراكز الأبحاث وكبريات الشركات من أجل إيجاد بديل للبترول يحدوه سببين؛ الأول اقتصادي بحت والثاني عنصري الدافع إليه هو النكاية بالعرب والمسلمين الذين أورثهم الله ثروة طائلة تحت أراضيهم، لذلك فإن الصهيونية سوف تعمل كل ما في وسعها لحرمان هذه الأمة من ذلك المصدر الهام للطاقة إما بإشعال الفتن أو التخريب أو بالحروب أو بإيجاد بدائل للذهب الأسود، وذلك على الرغم من أن المستفيد الأول من ارتفاع أسعار البترول هو الشركات الاحتكارية التابعة لهم، ولا شك أن ذلك يدخل ضمن خدمة زرعتهم الخبيثة في المنطقة دولة إسرائيل التي لن تغمض لها عين قبل أن تقوض كيان الأمة العربية والإسلامية وبمساندة ودعم قوى كبرى تم اختطاف القرار السياسي والعسكري والاقتصادي من شعوبها من خلال الديمقراطية لصالح الصهيونية العالمية وربيبتهم إسرائيل.

نعم إن الأمة أمام منعطف خطير ومسؤولية كبيرة وتحد أعظم يحتم عليها أن ترقى إلى مستوى الحدث وأن تعي الخطر الداهم وأن تستعد للمستقبل مستغلة ما حباها الله من نعم الاستقرار والأمان والوضع الاقتصادي المتميز التي لا بد من استغلالها في وقت الرخاء. ولا شك أن بناء ومتانة الوطن جزء من شكر النعمة.

وعلى العموم فإن على تعدد مصادر الدخل سبقتنا إليه دول وشعوب أخرى، وخير مثال على ذلك الصين، وكوريا، وماليزيا، وسنغافورة. والمثل الأكثر شهرة ووضوحاً هو اليابان التي تعتبر جزراً بركانية غير ذات زرع أو موارد ومصادر طبيعية، ولكنها بإرادة الرجال والتفكير السليم أصبحت اليابان في مقدمة دول العالم صناعياً واقتصادياً، فهي تكاد تستورد كل شيء من المواد الخام ثم تصنعه وتعيد تصديره على شكل سلع وتكنولوجيا مميزة مما جعلها من الدول الصناعية الكبرى التي فاقت الآخرين بدقة الصناعة وجودتها، فهل لنا عبرة بما يصنعه الآخرون على أرض الواقع؟ وكيف بنا ونحن نملك الموقع الجغرافي المميز ومصادر طبيعية ضخمة وتنوع طبوغرافي مميز وأمن وأمان واستقرار مدعوم بعدد جيد من السكان الذي يشكل الشباب دون سن العشرين أكثر من ٤٥٪ منه.

إن العمل على تعدد مصادر الدخل يطيل عمر الثروة الرئيسية لدينا وهو البترول، ويحل مشكلة البطالة ويرفع مستوى دخل الفرد ويقضي على الفقر ويحول المجتمع إلى مجتمع عمل. ولا شك أن تحقيق ذلك مرهون بالعمل على إصلاح مستوى التعليم، وتوجيه البحث العلمي ودعمه، والعمل على توطين التقنية، واستمرار التدريب على رأس العمل. حمى الله وطننا الغالي وأيد حكومتنا الرشيدة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز حفظهما الله. والله المستعان.

hluhaidan@alriyadh.com